آيات الجهاد دراسة صوتية

م.م. ثابت رحمن فنيخ العامري

كلية الطب البيطري/ جامعة القاسم الخضراء

The verses of jihad sound study

Ass. Lec. Thabet Rehman Fnikh Amiri

College of Veterinary Medicine\ Qassem Al Khadra University

abub33151@gmail.com

Abstract

The linguistic voices of the subjects that took place in the field of linguistic studies because of their importance and impact in the significance of the meaning by the word and speech, and the best speech and complete is the word of God Almighty, there is no doubt that the voices employed in this integrated text and since the jihad concepts that The text of the Holy Quran and its interest in a variety of blessed verses came in the research tagged (verses of jihad audio study) an attempt to indicate the significance of the sounds and some phenomena such as sound and tone in these verses, and the extent of the association of these voices and related phenomena in the position of verses that ensure The study plan was based on two topics: the first part included the lexical definition of the jihad, the statement of the characteristics of the voices, their relation to the meaning of meaning, and the vocal suggestion in the verses of jihad. The second topic was the phenomenon of algebra and toning, Verses of jihad, and ended the research concluded with the most important results produced by the research, and the index of sources and references.

Keywords: verses, jihad, sound, toning.

الملخص

فالأصوات اللغوية من الموضوعات التي أخذت حيزاً في ساحة الدراسات اللغوية نظراً لأهميتها وأثرها في الدلالة على المعنى عن طريق ورودها في الكلمة والكلام، وأفضل الكلام وأكمله هو كلام الله جلّ وعلا فمما لا شكَّ فيه أن للأصوات توظيفاً في هذا النص المتكامل وبما أنّ الجهاد من المفاهيم التي نص عليها القرآن الكريم واهتم بها في طائفة من آياته المباركة فجاء البحث الموسوم بـ(آيات الجهاد دراسة صوتية) محاولة في بيان دلالة الأصوات وبعض الظواهر الصوتية كالنبر والتنغيم في هذه الآيات الكريمة، ومدى ارتباط هذه الأصوات وما يتعلق بها من ظواهر في موقف الآيات التي تضمنتها وسياقها، فكانت خطة البحث على مبحثين: إذ ضمَّ المبحث الأول: التعريف المعجمي، والاصطلاحي، للجهاد، بيان صفات الأصوات وعلاقتها بالدلالة على المعنى، والإيحاء الصوتي في آيات الجهاد، أمّا المبحث الثاني: فكان في ظاهرتي النبر والتنغيم وأثرهما في بيان الدلالة الصوتية في آيات الجهاد، وانتهى البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي أفرزها البحث، وفهرس المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: آيات، الجهاد، الصوت، التنغيم.

المبحث الأول:

الجهاد لغةً:

ذكر صاحب التحقيق في بيان المعنى المعجمي للفظة الجهاد ما نصَّه: ((أن الأصل الواحد في هذه المادة: هو بذل الطاقة والسعي البليغ إلى أن ينتهي النهاية الممكنة ويبلغ غاية وسعه، ثم أنّ الاجتهاد إمّا أو بالمال أو بالبدن والأعضاء أو بالفكر، وكلّ منها إمّا في سبيل الله أو في طرق دنيويّة وأغراض شخصية، فالمجاهدة: هي إدامة الجهد، والاجتهاد هو بالطوع والرغبة))[1].

(1) التحقيق في كلمات القرآن، الشيخ حسن مصطفوي: 2/149-150.

مفهوم الجهاد:

للجهاد تعريفات ومفاهيم عديدة منها: ((هو بذل الطاقة الذاتية، واستفراغ ما في الوسع في سبيل الله، وذلك بالنفس والمال واستثمار الظروف المحيطة؛ للتمكن من مواجهة أعداء الله والانسانية، ابتداءً من هوى النفس وانتهاءً بقتال العدو مرورًا بأشكال المقاومة قولًا وفعلًا وموقفًا))[1].

ومن مفاهيم الجهاد أيضًا: ((هو محاولة دفع الصعوبة بصعوبة مع حسبان الصعوبة المقابلة شرًّا...هو أن يكون الطرف الآخر شرًّا وباطلًا حقيقةً أي من وجهة النظر الدينية والإلهية))[2].

ومن تعريفات الجهاد أيضًا: ((القتال والعمل الحربي في سبيل الله، وما يتعلق بذلك من بذل المال وغيره...وبعبارة اخرى: بذل الوسع بالنفس والمال في محاربة المشركين أو الباغين على وجه الخصوص، وقيل: غنه بذلهما في إعلاء كلمة الإسلام، وإقامة شعار الإيمان))[3].

أقسام الجهاد:

يقسم الجهاد على قسمين رئيسين هما: الجهاد الأكبر، والجهاد الأصغر، ويقصد بالجهاد الأكبر هو جهاد النفس والهوى والشيطان إذ يعدّ هذا النوع من الجهاد هو القاعدة والأساس لبناء المجاهد الذي يقف في سوح القتال ضد اعداء الله والإنسانية وقد أكد هذا النوع من الجهاد ما ورد من أحاديث النبي المصطفى (صلى الله عليه وآله)، إذ قال: ((قدمتم خير مقدم، وقدمتهم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، مجاهدة العبد هواه))[4].

والجهاد الأصغر وهو الجهاد المسلح ضد أعداء الله والكافرين وأعداء الإنسانية وقد ذكر السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي للجهاد بحسب اختلاف متعلقاته خمسة أقسام هي:[5]

الأول: الجهاد لحفظ بيضة الإسلام ضد أعداء الله الذين يريدون جعل كلمة الباطل أعلا من كلمة الحقّ، وأن يكون الدين بحسب ما يرون هم لا بحسب ما يريد الله تعالى.

الثاني: الدفاع عن المستضعفين ودفع كل عدو يريد التسلط على دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم، وهذا ما يحدث مع المسلمين في بلدنا اليوم في الموصل والأنبار وصلاح الدين وغيرها من المناطق التي استحل فيها داعش أموال المسلمين وأعراضهم ومقدراتهم بدعوى الجهاد الزائف

الثالث: الجهاد عن طائفة من السلمين ضد طائفة غير مسلمة بغت عليها، وهذا الحال مع الفلسطينيين في جهادهم ضد اليهود الذين بغوا عليهم وتجبروا.

الرابع: الجهاد لدفع الأعداء عن ثغور المسلمين التي تسلط عليها أعداء الدين بالظلم والعدوان، أو لجبر ما انكسر من بيضة المسلمين وإصلاح فسادها.

وهذه الأقسام الأربعة في معتقدات الإمامية وبالإجماع تجب وجوباً كفائيًا أي: إن تكفَّل بها بعضهم تسقط عن بعضهم الآخر مع مراعات الاستمرار إلى حين تحقق الغرض من الجهاد، وكذلك اختلاف الكفاية فيه بحسب طبيعة العدو وقوته وضعفه أو كثرته وقلته، وأن من يُقْتَل من المسلمين في هذه الأقسام الأربعة شهيدًا وله ما وعد الله من الأجر إن كان خالص النية في الجهاد ويجب في هذه الأقسام الأربعة، بلا فرق بين حضور الإمام وغيبته، ووجود المجتهد أو عدمه.

(1) موسوعة التربية الجهادية وأهدافها عند الإمام علي(ع)، الشيخ الدكتور محمد جواد مالك:57/1.
(2) فقه الأخلاق، السيد محمد محمد صادق الصدر(قدس سره): 421.
(3) الجهاد في الإسلام وجهة نظر اخرى، عقيل زيد الشامي:14.
(4) كنز العمال، المتقي الهندي: 430/4.
(5) ينظر: أجوبة مسائل جار الله، 61-62.

الخامس: وهو الجهاد ابتداءً أي: أن يبادر المسلمون أهل الكفر في عقر دارهم لدعوتهم إلى الإسلام والإيمان بالله جلّ وعلا، وهذا القسم من الجهاد عند الشيعة الإمامية خاص بالنبي (صلى الله عليه وآله) أو حضور الإمام النائب.

الإيحاء الصوتي في آيات (الجهاد):

لقد اهتم علماء العربية بلغتهم – بصورة عامة – وبأصواتها اللغوية بصورة خاصة، وكان ذلك خدمة للقران الكريم ؛ ليتمكنوا من قراءته بصورة صحيحة خالية من الأخطاء واللحن، وبيان أحكامه، وشرح معانيه . فبدأوا البحث في الأصوات، وبيان ماهيتها، ومخارجها، وصفاتها، ثمّ شرعوا بالبحث عن طبيعة العلاقة بين جرس الكلام ومعناها الذي يتسق معها، حين ادركوا أهمية مسألة الصوت والدلالة [1].

ويعد الخليل بن احمد الفراهيدي (170هـ) الرائد في دراسة الأصوات، وأخذ على عاتقه دراسة مدى اتفاق دقة المعنى مع جرس الحرف المختار، وحاول إثبات نوع الصلة بينهما، إذ قال: ((كأنّهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومداً فقالوا: صرّ، وتوهموا في صوت البازي تقطيعاً فقالوا : صرصر))[2]، وتابعه في ذلك سيبويه[3]، وفصّلها بالدراسة ابن جنّي، إذ بيّن أنّهم جعلوا المثال المكرر للمعنى المكرر[4].

يُلاحظ في قول الخليل أنّ الراء في (صرّ) مضعّف ينتج عنه نوع من المد والاستطالة، ينشأ عن سمة التكرار التي يتسم بها، وهذا يناسب ما في صوت الجندب من مد واستطالة . فالمناسبة ظاهرة بين أصوات الكلمة ودلالتها، أمّا في (صرصر) فإنّ ما فيها من تكرار الصاد وفك إدغام الراء رسم صورة لفظية لصوت البازي الذي فيه تقطيع، فهذا التقطيع تمثل في اللفظ[5].

ومنه أيضاً النضح للماء ونحوِه، والنضخ اقوى من النضح، قال تعالى: {فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ}[الرحمن:66]، فجعلوا الحاء؛ لرقتها للماء الضعيف، وجعلوا الخاء؛ لغلظها لما هو اقوى منه[6].

وقد أطلق المحدثون على هذه العلاقة مصطلح (المحاكاة الصوتية) وكانت أصداء هذه العلاقة عندهم تتردد بين مؤيد ورافض، فمن المؤيدين احمد الشدياق، إذ ذكر في مقدمة كتابه (الساق على الساق) ((أنّ كل حرف يختص بمعنى من المعاني دون غيره ، وهو من أسرار العربية الذي قلّ من تنبّه لها))[7]، وتابعه في ذلك الدكتور صبحي الصالح في كتابه (دراسات في فقه اللغة)، ومحمد المبارك في كتابه (فقه اللغة وخصائص العربية).

وممن انكر هذه العلاقة من المحدثين محمود فهمي حجازي، إذ يقول:((إنّه ليس هناك علاقة بين الرمز اللغوي ومدلوله في الواقع الخارجي، والعلاقة الوحيدة القائمة بين الرمز الصوتي واللغوي وما يدل عليه هي علاقة الرمز))[8] واكد أنّ العلاقة اصطلاحية وليست ذاتية؛ وتابعه في ذلك د. تمام حسان، أمّا الدكتور إبراهيم أنيس فقد كان معتدلاً بين مؤيّدي علاقة الصوت بالمعنى وبين معارضيها[9].

ومهما تعددت الآراء وبلغت الأدلة لا يمكن إنكار هذه العلاقة الواضحة، وقد يشكك في أمرها إن كانت في كلام عادي إلّا أنّ أثرها موجود في القران الكريم الذي وُضِع كل حرف فيه لمعنى مقصود ولم يكن وجوده اعتباطياً، وسيتضح ذلك في بيان صفات الأصوات المستعملة في لفظة (الجهاد) مفردة، وفي سياق النص القرآني في آيات الجهاد.

(1) ينظر: دلالات الظاهرة الصوتية في القران الكريم : 17
(2) العين : 1/ 56
(3) ينظر : الكتاب : 12/4
(4) ينظر: الخصائص: 407
(5) ينظر: دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم : 19
(6) ينظر: الخصائص:11/4
(7) ينظر: دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم : 59
(8) علم اللغة العربية : 14
(9) ينظر: من اسرار العربية : 14

فمادة (**جَهَدَ**) كما ذكرتها المعجمات تدلّ على المشقة والطاقة[1]، فهي مزيج من معنيين الأول منها محتاج إلى الثاني، لرفع ما به من الثقل، ومادة (جَهَدَ) في القرآن الكريم جاءت في خمسة مواضع جميعها مقرونة بالقسم بلفظ الجلالة (الله) نحو قوله تعالى: {وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُواْ أَهَؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَاسِرِينَ}[2]، وقوله: {وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُون}[الأنعام:109][3]، فذكر السيد الطباطبائي أنَّ (جهد الأيمان) هو الطاقة التي تبلغها قدرة الإيمان والمبالغة فيها[4].

وهذا البحث محاولة في بيان هذا المعنى في الجانب الصوتي عن طريق ما تحمله أصوات هذه الكلمة من صفات تجسد هذا المعنى، فـ(جَهَدَ) مؤلَّفة من ثلاثة أصوات هي:(ج، هـ، د).

فصوت (الجيم) من الأصوات المجهورة المركبة التي تحمل صفتين، إذ يبدأ صوتاً شديداً وينتهي صوتاً رخواً[5].

أمَّا صوت (الهاء) فهو من الأصوات المهموسة الرخوة، وذكر الدكتور إبراهيم أنيس أنَّ هناك (هاء) مجهورة إذ قال: ((وعند النطق بالهاء المجهورة يندفع من الرئتين كمية كبيرة من الهواء أكبر مما يندفع مع الأصوات الأخرى فيترتب عليه سماع صوت الحفيف مختلطاً بذبذبة الوترين الصوتيين))[6].

على حين أنَّ صوت (الدال) يعدُّ من الأصوات المجهورة الانفجارية، التي تعطي انطباعاً قوياً عند النطق بها.

فهذه المادة حوت صوتين من أقوى الأصوات اللغوية التي أعطتها قوة في النطق، وهذه القوة تحتاج إلى طاقة كافية لرفع المشقة التي يتحملها جهاز النطق عند إخراجها[7].

فيظهر أنّ معنى هذه اللفظة وهو المشقة والطاقة مستوحى من طبيعة أصواتها اللغوية التي تحمل هاتين الصفتين، ودلالة هذه الأصوات على هذا المعنى تعرف بالدلالة الصوتية[8].

ولفظة (الجهاد) هي إحدى اشتقاقات هذه المادة إذ احتفظت بالمعنى الذي تحمله هذه المادة.

فلفظة (الجهاد) في الاصطلاح القرآني كما عرَّفها أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، إذ قال: ((الجِهَادُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الجَّنَةِ، فَتَحَهُ اللهُ لِخَاصَةِ أَوْلِيَائِهِ، وَهُوَ لِبَاسُ التَّقوَى، ودِرْعُ اللهِ الحَصِيْنَةُ، وَجُنَّتُهُ الوَثِيْقَةُ، فَمَنْ تَرَكَهُ، رَغْبَةً عَنْهُ، أَلْبَسَهُ اللهُ ثَوْبَ الذُّلِّ وَشَمِلَهُ البَلَاءُ، ودُيِّثَ بِالصَّغار والقَمَاءَةِ، وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بالأَسْدَادِ، وأُدِيْلَ الحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الجِهَادِ، وسِيْمَ الخَسْفَ، ومُنِعَ النِّصْفَ))[9].

وقد عرّف أبو البقاء الكفوي الجهاد بأنّه: ((الدعاء إلى الدين الحقِّ، والقتال مع من لا يقبله))[10].

ونظراً لما في الجهاد من مشقة وعناء واحتياج إلى طاقة كبيرة من أجل الاستمرار، جاء التعبير عنه بهذه الأصوات القوية والشديدة تعبيراً عن هذه المشقة التي تحتاج إلى طاقة، في حال الجهاد في سبيل الله، ويتضح ذلك في قوله تعالى:{فَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا} [11]، فالناظر إلى الأصوات الواردة في هذه الآية يجد أنّها مؤلفة من ستة عشر صوتاً عدا الأصوات المكررة، كانت الأصوات المجهورة فيها عشرة أصوات هي: (ل، ا، ع، ر، ي، و، ج، د، م، ب)، والأصوات الشديدة ستة أصوات هي: (ت، ط،

(1) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس: 175/2، والمحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده: 153/4، وأساس البلاغة، الزمخشري: 158/1، وتاج العروس، السيد مرتضى الزبيدي:543/7.(طبعة الكويت)
(2) سورة المائدة: الآية 53.
(3) سورة فاطر: الآية 42.
(4) ينظر: تفسير الميزان، السيد محمد حسين الطباطبائي: 329/8-330.
(5) ينظر: علم الأصوات اللغوية، مهدي مناف الموسوي: 78.
(6) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: 86. وينظر: المختصر في أصوات اللغة العربية، محمد حسن حسن جبل: 81-82.
(7) ينظر: مفهوم القوة الضعف في أصوات العربية، محمد يحيى الجبوري: 52-53.
(8) ينظر: دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس: 35.
(9) نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب(عليهما السلام)، شرح محمد عبده: 89-90.
(10) الكليات: 354.
(11) سورة الفرقان: الآية 52.

ك، ج، د، ب) أمّا الأصوات المهموسة فكانت خمسة أصوات هي: (ف، ت، ط، ك، هـ)، على حين كانت الأصوات الرخوة اثنين هي: (ف، هـ)، والمتوسطة أربعة هي: (ل، ع، ر، م).

فنجد أنّ التركيب الصوتي للآية يغلب عليه أصوات الجهرة والشدة التي توحي بالقوة والمشقة التي عبرت عنها لفظة (الجهاد) وسياق الآية الكريمة الذي يدلُّ على المشقة في تبليغ الرسالة واستمالة الناس إلى الهداية وطريق الحقِّ كما ذكر ذلك السيد الطباطبائي هذا المعنى في تفسير الآية، إذ قال: ((وابذل مبلغ جهدك ووسعك في تبليغ رسالتك وإتمام حجتك بالقرآن المشتمل على الدعوة الحقة وجاهدهم به مجاهدة كبيرة))[1].

ويتضح هذا المعنى أيضاً في قوله تعالى: {وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِين} [العنكبوت: ٦]، إذ ورد في هذه الآية أربعة عشر صوتاً، المجهور منها أحد عشر صوتاً هي: (و، م، ن، ج، ا، د، أ، ي، ل، غ، ع) على حين كانت الأصوات المهموسة ثلاثة أصوات هي:(هـ، ف، س)، أمّا الأصوات الشديدة فكانت ثلاثة أصوات أيضاً هي :(ج، د، أ)، أمّا الأصوات الرخوة فكانت سبعة أصوات هي:(و، ن، ي، هـ، هـ، س، غ)، والأصوات المتوسطة ثلاثة هي: (م، ت، ع).

فالتركيب الصوتي للآية يغلب عليه الأصوات المجهورة مع التراخي الذي يظهر من الأصوات الرخوة إذ جاءت بعد الأصوات المجهورة من حيث العدد، مما يوحي أنّ المراد من هذه الآية بدلالة الأصوات الواردة فيها القوة والمشقة مع التراخي كون الجهاد فيها هو جهاد الإنسان لنفسه وهذا النوع من الجهاد وإنّ كان من أعظم الجهاد غير أنّ ظروفه الميدانية والنفسية تختلف عن ظروف الجهاد في ساحات القتال ففيه مرونة أكبر؛ لأنّ الخطر الذي يواجهه الإنسان في هذا الجهاد لا يكون مباشراً كما أن العدو فيه خفي وهو الشيطان، والنفس الأمارة بالسوء، والهوى، والضرر فيه ليس آنياً وإنما طويل الأمد، على خلاف الجهاد الذي يكون في المعركة العسكرية الذي يكون فيه العدو ظاهراً ومباشراً، والأذى الذي يلحق بالمجاهد يكون سريعاً وقريباً، فلذلك جاءت الأصوات الرخوة لتعبر عن هذه الصورة، ويدلُّ على ذلك قول الطبرسي في تفسيره الآية، إذ قال: ((لمّا رَغَّب الله تعالى في تحقيق الرجاء والخوف عقب الترغيب في المجاهدة، فقال: {وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِين} [العنكبوت: ٦]، أي: ومن جاهد الشيطان بدفع وسوسته وأعوانه، وجاهد أعداء الدين لإحيائه، وجاهد نفسه التي هي أعدى أعدائه، فإنما يجاهد لنفسه لأن ثواب ذلك عائد عليه، وواصل إليه دون الله تعالى))[2].

وأكد أبو حيّان هذا المعنى، إذ قال:((والظاهر أنّ قوله تعالى (ومن جاهد) معناه ومن جاهد نفسه بالصبر على الطاعات فثمرة جهاده، وهو الثواب المعدّ له إنما هو له لا لله، والله غني عنه وعن العالمين))[3].

أمّا في قوله تعالى: {لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ جَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون} [التوبة: ٨٨]، نجد أنّ الخطاب القرآني في هذه الآية قد اختلف على الرغم من كونها من آيات الجهاد إذ تحول الخطاب من الشدة المشقة إلى السعة واللين، وهذا الأمر قد اتضح في التركيب الصوتي للآية إذ نجد ذلك في طبيعة الأصوات التي شكلت بنية هذه الآية، فقد ورد فيها عشرون حرفاً هي: (ل، ن، ا، ر، و، ذ، ي، م، ع، ج، د، ب، أ)، أمّا الأصوات المهموسة فكانت سبعة أصوات هي: (ك، س، هـ، ف، خ، ت، ح)، والأصوات الشديدة خمسة أصوات هي: (ك، د، ب، ا، ت)، على حين كانت الأصوات المتوسطة ستة أصوات هي: (ل، ا، ر، و، م، ع)، أمّا الأصوات الرخوة فكانت سبعة أصوات هي: (ن، س، ذ، ي، هـ، ف، خ، ح)[4].

فيتضح من هذا التركيب الصوتي أنّ الآية أشارت إلى المشقة التي تحمّلها الرسول (صلى الله عليه وآله) والمؤمنون معه عن طريق إيراد الأصوات المجهورة التي تعبر عن هذه المشقة والعناء والشدة إذ تُعَدُّ الأصوات المجهورة هي أكثر الأصوات وروداً في الآية، ثمَّ تحول جو الآية إلى الرخاء والسعة وتهوين المشقة والعسر والذي دلّ على هذه الصورة ما جاء من أصوات مهموسة ورخوة

(1) تفسير الميزان: السيد محمد حسين الطباطبائي: 227/15.
(2) مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسي: 9/8.
(3) تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي:137/7.
(4) ينظر: المختصر في أصوات اللغة العربية، محمد حسن حسن جبل: 74 وما بعدها.

تلت الأصوات المجهورة، إذ بينت أنّ هذه المشقة والشدة في الجهاد وبذل المال والنفس تكون عاقبتها إلى خير وفلاح، وراحة وسلام، وقد تقدّم الحديث عن هذه الدلالة في الآية السابقة غير أنّ دلالة الأصوات في قوله تعالى: {وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِين} [العنكبوت: ٦]، كانت في الأمور المعنوية والجهاد المعنوي، على حين هذه الآية في كانت في الجهاد المادي فجَعَلت لذلك الجهاد عوضاً وهو أن يجزون الخير والفلاح، وقال البغوي إنّ الخير: ((يعني الحسنات، وقيل الجوار الحسان في الجنة [...] وحُكي عن ابن عباس: أنَّ الخير لا يعلم معناه إلا الله))[1].

وذكر الشيخ محمد جواد مغنيَّة أنَّ الخيرات والفلاح في الدارين الدنيا والآخرة وهو نتيجة حتمية للجهاد في سبيل الله، ولا يختص ذلك بالخير المادي فقط، بل هو شامل للمادي والمعنوي معناً[2].

المبحث الثاني

دلالة النبر والتنغيم في آيات الجهاد

النـبر

لغة : الهمز، وكل شيء رفع شيئاً فقد نبره، والنبر: ارتفاع الصوت، يقال: نبر الرجل نبرةً إذا تكلم بكلمة فيها علو، ونبرة المغني: رفْع صوته بعد خفض[3].

وقد عرفت العربية النبر وعبّرت عنه بمسمياتها المختلفة : الهمز ، العلو ، الرفع ، مطل الحركات ، الارتكاز، الإشباع، المد، قال ابن جنّي: ((وحكى الفراء عنهم : أكلت لحماً شاةٍ ، أراد لحمَ شاةٍ ، فمطل الفتحة فأنشأ عنها ألفاً))[4]، وقال ابن سينا في النبر:((حفز قوي من الحجاب وعضل الصدر لهواء كثير))[5]، ويعني بذلك الهمز، فالهمز يعني الضغط، والنبر يعني الضغط والارتكاز[6].

وعرّفه المحدثون بقولهم:((هو الضغط على احد المقاطع وإبرازه ليكون أوضح في السمع قياساً بالمقاطع المجاورة له))[7].

وعرّفه الدكتور إبراهيم أنيس بقوله: ((هو نشاط في جميع أعضاء النطق في وقت واحد؛ إذ تنشط الرئتين نشاطاً كبيراً، وتقوى حركات الوترين الصوتيين))[8].

وذكر المحدثون أنّ اللغويين القدامى عرفوا النبر إلّا أنّهم لم يذكروا له قواعد خاصة له ، وهذا لا ينفي وجوده في العربية[9].

بيّن المحدثون أنّ للنبر قيماً صوتية (نطقية) وأخرى فونولوجية (وظيفية) فهو من الناحية النطقية ذو اثر سمعي واضح، يميز مقطعاً من آخر، كلمة من أخرى، أمّا من الناحية الوظيفية فهو يُعرّف التتابع المقطعي في الكلمات ذات الجذر الواحد، عند تنوع درجات نبرها (قوة وضعفاً)، وعند تنوع مواقعه، فالنبر في (كتب) على المقطع الأول، وفي (كتبتُ) على المقطع الثاني، وفي (كتبتُه) على المقطع الثالث[10].

يتضح مما تقدم أنّ للنبر ثلاث درجات، هي:

- النبر القوي: ويكون في المقطع الأول.
- النبر المتوسط: ويكون في المقطع الثاني.
- النبر الضعيف: ويكون في المقطع الثالث.

(1) تفسير البغوي معالم التنزيل: 576
(2) ينظر: التفسير الكاشف، محمد جواد مغنيَّة: 82/4.
3) لسان العرب : مادة (ن ب ر)
4) الخصائص : 714
5) أسباب حدوث الحروف : 72
6) ينظر : الأصوات اللغوية (د. عبد القادر) : 239
7) ينظر: علم الأصوات : 512 ، والصوت والمعنى في الدرس اللغوي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث: 378
8) الأصوات اللغوية (د. أنيس) : 138
9) ينظر: دراسة الصوت اللغوي : 357
10) ينظر: علم الأصوات : 514

وأشار علماء العربية المحدثون إلى أنّ للنبر وظيفة دلالية ، وحددوها بحسب نوع النبر : [1]

- النبر على المقطع: يكشف الدلالة السياقية ويُظهر الاختلاف الدلالي في السياق، ومنه قوله تعالى: {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ} [الحج:٧٨]، إذ نبر القارئ المقطع الأول في (جاهدوا) وهو (ج ــَـ) على المعنى الدلالي الذي يناسب سياق الموقف لما فيه من قوة وصلابة يتناسب والمعنى الذي ورد من أجله، وهو حمل الرسالة الإلهية والمشاق العظام التي تحملها النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الدعوة إلى الدين الإسلامي[2]

النبر على مستوى الجملة : أن يعمد المتكلم إلى كلمة في جملته فيزيد في نبرها ويُميّزها من غيرها؛ رغبةً منه في دلالة معينة، فمثلاً قوله:{أَهَؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَاسِرِين} [المائدة: ٥٣]، إذا نبر المتكلم لفظ (هؤلاء) فهذا يعني أنّه شك في فاعل القسم، وإذا نبر لفظ (جهد) فهذا يعني أنّه ظنّ أنّ حدثاً آخر غير الاجتهاد هو الذي تمّ.

- النبر على مستوى الكلام المتصل: يُتعرف من خلاله على بدايات الكلمات ونهاياتها ؛ ذلك أنّ الكلمة في سلسلة الكلام المتصل قد تفقد شيئاً من استقلالها، فقد تتداخل مع غيرها، أو تُدغم أطرافها مع كلمة لاحقة لها، وهنا يبرز النبر عاملا من عوامل تعرّف بدايات الكلمة ونهاياتها، ومنه قوله تعالى: {وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا}[الفرقان: ٥٢]، فمن لم يُعمِل النبر في الآية لم يتبين له المعنى التام للآية، ولا يتعرف على بداية الآية ولا نهايتها.

يتضح مما تقدم أنّ النبر يكون في المقطع، وفي الجملة، وعلى مستوى الكلام، والغرض منه التأكيد، أو التنبيه، أو التوضيح.

التنغـيم

نغم: النَّغْمَةُ: جرسُ الكلامِ وحُسْنُ الصوتِ من القراءة ونحوها. وتقول: ما نَغَمَ بكلمةٍ[3]

ذكر المحدثون أنّ علماء العربية القدامى عرفوا (النغم) وأهميته في السياقات التنظيمية للمتكلم[4]، وذكرت المصادر الحديثة تعريف الفارابي للنغم في كتابه (الموسيقا الكبير)، إذ قال:((والنغم: الأصوات المختلفة في الحدة والثقل التي تتخيل أنّها ممتدة))[5].

وذكر ابن جني أنّ علم الأصوات له تعلّق ومشاركة للموسيقا لما فيه من صنعة الأصوات والنغم[6].

وعرّفه المحدثون بأنّه: ((التغيير الذي يطرأ على الكلام ارتفاعاً وانخفاضاً لغرض تغيير الدلالة، وهو لا يغير الدلالة المعجمية ، وإنّما يغير الدلالة الأسلوبية)). [7] واصطلحوا عليه (موسيقا الكلام)[8].

وهذا التغيير أو التنوع الموسيقي يعطي الكلام روحاً ويكسبه معنًى يدل على الحالة النفسية للمتكلم، ويعد عاملاً مهماً من عوامل توضيح المعنى وتفسيره، وتمييز أنماط الكلام بعضها من بعض[9].

فالجملة الواحدة يتنوع معناها بتنوع صور نطقها ، وكيفية التنويع في موسيقاها، فقد تعني التقرير، أو التأكيد، أو التعجب، أو الاستفهام، أو النفي، أو الغضب، أو الزجر، أو القبول، أو عدم الرضا، أو الفرح، أو الحزن، وغير ذلك، ويمكن توظيفه في عبارة (يا إلهي)[10].

وذكر الدكتور كما بِشْر أنّ للتنغيم نغمتان رئيستان بالنسبة إلى نهاياتهما فقط أمّا إطارهما الداخلي فينتظم عدداً من التنويعات الجزئية الكثيرة، وهاتان النغمتان، هما: [11]

1) ينظر: الأصوات اللغوية، د. أنيس: 142، وعلم الأصوات: 515، ودلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم: 144- 146
2) ينظر: تفسير الطبري: 280/19، والكشاف: 286/3.
3) العين (نغم): 426/4. وينظر: الصحاح (نغم): 2045/5، ولسان العرب (نغم): 590/21.
4) ينظر : الأصوات اللغوية، د. عبد القادر: 255
5) نقلاً عن : الصوت والمعنى في الدرس اللغوي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث :404، والأصوات اللغوية، د. عبد القادر: 255
6) سر صناعة الاعراب : 5/1
7) ينظر: علم الاصوات :533 ، وعلم الاصوات اللغوية : 134
8) ينظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس: 14 ، وعلم الاصوات :533
9) ينظر: علم الاصوات : 533
10) ينظر: علم الاصوات : 533 ، والأصوات اللغوية، د. عبد القادر: 257
11) ينظر: علم الأصوات: 534-437.

أ- النغمة الهابطة : وسميت بذلك للاتصاف بالهبوط في نهايتها على الرغم مما قد تنتظم فيها من تلوينات جزئية داخلية ، ومن أمثلة هذه النغمة :

- الجملة التقريرية : يقصد بها تلك الجملة التامة ذات المعنى الكامل غير المعلق ، نحو: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيم} [المائدة: ٥٤].
- الجملة الاستفهامية: حددها بالأدوات الخاصة للاستفهام، نحو:(أ، أين، من، متى، كيف) ومثاله: {وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُواْ أَهَؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَاسِرِين} [المائدة: ٥٣].
- الجملة الطلبية : تحتوي على فعل أمر أو نحوه ، نحو : {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون}[المائدة:35] وقوله تعالى:{وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ }[الحج:78]، فتجد أنّ النغمة التي يُؤدَّى بها فعل الأمر تحوي من الشدة والثقل ما لا يخفى، لأنها طلب بشدة المراد منه القيام بالعمل على نحو الوجوب، وهذا ما يتفق وحقيقة الجهاد الذي يحمل من الشدة والعناء والثقل الشيء الكثير، كما ما بيَّنا في ما تقدم من البحث.

ب- النغمة الصاعدة : سميت بذلك لصعودها في نهايتها، بالرغم من تنوع أمثلتها الجزئية الداخلية، ومن أمثلته هذه النغمة :

- الجملة الاستفهامية التي تستوجب الإجابة بـ (نعم) أو (لا)، نحو: ؟ ولم يرد هذا النبر في القرآن الكريم؛ إذ إنّ كلام الله عز وجل لا يتضمن هذا النوع من الاستفهام، وكل ما ورد فيه من استفهام فهو استفهام إنكاري، الغرض منه تقرير المخاطب واعترافه بالذنب الذي ارتكبه.
- الجملة المعلقة: يقصد بها الكلام غير التام لارتباطه بما بعده، ويظهر ذلك بوجه خاص في الجزء الأول من الجملة الشرطية، نحو:{وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِين} [العنكبوت: ٦]، فالجزء الأول وهو قوله: :{وَمَن جَاهَدَ } كلام معلّق (لم يتمّ معناه) وهنا تتضح النغمة الصاعدة، فهو كلام غير تام احتاج إلى ما بيِّن معناه ويوضح المراد من هذا الجهاد والغاية منه، فجاء قوله تعالى: :{فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ}، تتمة للمعنى وبياناً للمراد، ثم أكَّد الباري جلَّ وعلا هذا المعنى بقوله: :{إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِين}، لبيان أنّ الله سبحانه وتعالى غني عن جهاد الإنسان فهو غير محتاج إليه، وإنما الإنسان هو الذي يحتاجه، لينال العزة والشرف والكرامة.

وينبغي الإشارة هنا إلى أنّ التنغيم لا يتم اكتشاف دوره وأهميته في التحليل اللغوي إلّا بربطه بظاهرة صوتية أخرى وهي الفواصل الصوتية[1].

الفواصل الصوتية:

مفهوم يطلقه علماء العربية حديثاً على مجموعة من الظواهر التي تشكّل ظواهر اخرى (كالنبر والتنغيم) تلويناً موسيقياً خاصاً بالمنطوق، يحدد طبيعة التركيب، وماهيته، ودلالته[2]، وهذه الفواصل هي:[3]

- الوقفة: لا تتحقق إلّا عند تمام الكلام في مبناه ومعناه.
- السكتة: تعني مجرد تغيير مسير النطق بتغيير نغماته، إشعاراً بأنّ ما يسبقها من كلام مرتبط أشد ارتباط بما يلحقها.
- الاستراحة: هي فرصة لمجرد أخذ النفس، ويُعمَل بها للإمعان في التلحين وتلوين الصوت وكسب انتباه السامع.

والأداء الصحيح لهذه الفواصل يرتبط ارتباطاً وثيقاً بعنصرين من عناصر الاتصال اللغوي، هما: [4]

- قواعد اللغة (التركيب).

1) ينظر: علم الأصوات: 552.
2) ينظر: علم الأصوات: 553
3) ينظر: ينظر: علم الأصوات: 552 و557 و560
4) ينظر: علم الأصوات: 553

- المعنى الذي يُفصح عن التركيب .

وهنا يتبين شأن الفواصل الصوتية في دقة التحليل اللغوي وفي توجيه الأعراب.

الخـاتمـة

- أنّ للأصوات اللغوية أثر دلالي في بيان معنى المفردات التي ترد فيها.
- دقة تعبير النص القرآني عن المعاني التي يحملها عن طريق اختيار بعض الأصوات التي لها صفات تنسجم مع تلك المعاني في القوة والشدة واللين والرخاوة.
- استعمل القرآن الأصوات المجهورة والشديدة في التعبير عن الجهاد الذي يحمل صفة الشدة والمشقة والعناء.
- عرف القدماء النبر بأنّه الهمز إلّا أنّهم لم يجعلوا له قواعده ولم يحددوا وظائفه وأنواعه.
- كثرة ورود النبر القوي في آيات الجهاد للدلالة على القوة والشدة التي يتصف بها هذا الركن المهم من أركان الإسلام.
- للتنغيم والنبر دور في تنظيم السياق وفهم المعنى، والنبر عامل مهم من عوامل التنغيم.
- التنغيم عند القدماء لم يخرج عن اطار التلحين، أمّا المحدثون فأخذوا هذا المفهوم وطوَّروه وبينوا أنواعه وربطوه بالفواصل الصوتية.
- للصوت اثر جلي في المعنى، والقدماء اكدوا ذلك، أمّا المحدثون فقد اختلفوا في ذلك، فمنهم من سار على خُطا السلف، ومنهم من رفض هذا الأثر، ومنهم من وقف موقفاً محايداً في هذه القضية .

المصادر والمراجع

أجوبة مسائل جار الله، السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي، مطبعة العرفان، صيدا، الطبعة الأولى، 1953.

أساس البلاغة، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1419هـ-1998م.

الأصوات اللغوية، الدكتور عبد القادر عبد الجليل، الطبعة الأولى، دار صفاء، عمّان، 2010م.

تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق عبد الستار أحمد فرَّاج، مطبعة الكويت الحكومية، الكويت، د.ط، 1385هـ-1965م.

التحقيق في كلمات القرآن، الشيخ حسن مصطفوي، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، الطبعة الأولى، 1417هـ.

تفسير البحر المحيط، لمحب الدبن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي(745هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1993م.

تفسير البغوي معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، 1423هـ-2002م.

التفسير الكاشف، محمد جواد مغنيَّة، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، 1981.

الجهاد في الإسلام وجهة نظر اخرى، عقيل زيد الشامي، مركز ابن إدريس الحلي للدراسات الفقهية، الطبعة الأولى، 2008.

الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني(392هـ)، تحقيق محمد علي النجار ، الطبعة الثانية، عالم الكتب- بيروت، 2010م.

دلالات الظاهرة الصوتية، الدكتور خالد قاسم بني دومي، عالم الكتب- عمان، د.ط، د.ت.

دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مطبعة الأنجلو المصرية، مصر-القاهرة، د.ط، د.ت.

سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق الدكتور حسن هنداوي، الطبعة الثانية، دار القلم- دمشق، 1993م.

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (393هـ)، تحقيق، أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة، دار العلم للملايين- بيروت، 1987م.

- الصوت والمعنى في الدرس اللغوي في ضوء علم اللغة الحديث، الدكتور تحسين عبد الرضا الوزّان، الطبعة الأولى، دار دجلة– عمّان، 2011م.
- علم الأصوات اللغوية : د. عبد القادر عبد الجليل،
- علم الأصوات اللغوية، مهدي مناف الموسوي، دار الكتب العلمية، بغداد–العراق، الطبعة الثالثة، 2007هـ.
- علم الأصوات، الدكتور كمال بشر، الطبعة الأولى، دار غريب– القاهرة، 2000م.
- علم اللغة العربية: محمود فهمي حجازي،
- العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال– بيروت، د.ت.
- فقه الأخلاق، السيد محمد محمد صادق الصدر(قدس سره)، تحقيق الشيخ كاظم العبادي الناصري، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 2007.
- كتاب سيبويه، أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي الملقب بسيبويه(180هـ)، تحقيق عبد السلام هارون ، الطبعة الثالثة، مكتبة الخانجي– القاهرة، 1988م.
- الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحُسيني الكفوي، تحقيق الدكتور عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1419هـ–1998م.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المتقي الهندي، تحقيق إسحاق الطيبي، بيت الأفكار الدولية، الطبعة الثانية، 2005.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري (711هـ)، ط3، دار صادر– بيروت، 1414هـ.
- مجمع البيان في تفسير القرآن، أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار المرتضى، بيروت، الطبة الأولى، 1427هـ–2006م.
- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 1421هـ–2000م.
- المختصر في أصوات اللغة العربية دراسة نظرية تطبيقية، محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1427هـ–2006م.
- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د.ط، 1399هـ–1979م.
- مفهوم القوة الضعف في أصوات العربية، محمد يحيى سالم الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1427هـ–2006م.
- من أسرار العربية : د. إبراهيم أنيس،
- موسوعة التربية الجهادية وأهدافها عند الإمام علي(ع)، الشيخ الدكتور محمد جواد مالك، الدار العربية للموسوعات، الطبعة الأولى، 2012.
- الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، د.ط، د.ت.
- نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي، شرح محمد عبده، دار ذوي القربى، إيران–قم، الطبعة الأولى، 1384هـ.